اسس تكوين الرأي العام في فكر الكسندر سيمينوفيتش شيشكوف السياسي (1754 -1841م)

The foundations of public opinion formation in the political thought of Alexander Semenovich Shishkov (1754-1841 AD)

م.د.فاطمة عطا جبار*

Dr.Fatima Atta Jabbar

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي–دائرة البحث والتطوير

Ministry of Higher Education – Research and Development Department

الملخص:

يؤثر الرأي العام بشكل كبير على تشكيل اتجاهات المواطنين الاجتماعية والسياسية ومدى تبنيهم لافكار معينة على غيرها. والرأي العام يتكون من خلال اللغة التي يتكلمها الافراد والدين الذي يدينون به، ويشكل الفاعلان (اللغة والدين) بشكل كبير القيم والاعراف والعادات لافراد الدولة الواحدة ومدى تفاعلهم مع قيم واعراف وعادات المجتمعات في الدول الاخرى . ومن خلال ذلك تهدد مجموعة القيم الوافدة ومقدار تبنيها من قبل قادة الدولة منظومة القوانين والتشريعات المقترحة والنافذة في تلك الدولة. وهو ما ينعكس على صياغة الرأي العام وتوجهات المواطنين السياسية. والسؤال المطروح في هذه الدراسة هو : ما هي اهم اسس تكوين الرأي العام الروسي في فكر

* الايميل: **Fatma.ata1101b@copolicy.uobaghdad.edu.iq**

شيشكوف السياسي، وهل كان له تأثير في وقت الازمات والحروب التي واجهتها الدولة الروسية في عصره. تفترض الدراسة بأن شيشكوف ركز على اساسين مهمين لتكوين الرأي العام الروسي في عصره وهما اللغة والدين، مبيناً الاثر الذي اخذ كل منهما على تشكيل الرأي العام في وقت الازمات والحروب التي واجهتها الدولة الروسية في عهده وولادة الهوية الوطنية منهما لمواجهة الافكار والقيم الوافدة من الحضارة الاوربية ولاسيما الفرنسية منها. ومن اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة: قوة اللغة والدين على تشكيل الرأي العام وصياغة التوجهات السياسية لابناء الدولة الواحدة وهما من احتياجات العصر الضرورية. نظراً للازمات والتحديات التي مرت وتمر بها الدول على طول مسيرتها في التاريخ. فالحاجة ملحة لايقاظ الاهتمام بمدى الدور الذي تلعبه اللغة والدين على تشكيل الرأي العام والتأثير الواسع على خلق الروح الوطنية في نفوس الابناء. نتيجة لاثر القيم والعادات الوافدة عبر التكنولوجيا المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: فكر سياسي، شيشكوف، رأي عام ، اسس تشكيل الرأي العام.

Abstract:

Public opinion greatly affects the formation of citizens' social and political attitudes and the extent to which they adopt certain ideas over others. Public opinion is formed by the language that individuals speak and the religion they profess, The two actors (language and religion) largely shape the values and customs of the individuals of one country and the extent of their interaction with the values and customs of societies in other countries. The set of foreign values and the extent of their adoption by the

country's leaders threaten the system of laws and legislation proposed and enforced in that country. This is reflected in the formulation of public opinion and the political orientations of citizens. The study presents what are the most important foundations for the formation of Russian public opinion in Shishkov's political thought, and whether it had an impact at the time of crises and wars that the Russian state faced in his era. The study assumes that Shishkov focused on two important foundations for the formation of Russian public opinion in his time, which are language and religion, indicating the impact that each of them had on the formation of public opinion at the time of crises and wars that the Russian state faced during his reign and the birth of national identity from them to confront ideas and values coming from European civilization, especially French ones. In conclusion, the study concluded: The power of language and religion to shape public opinion and formulate the political orientations of the people of one state, and they are among the necessary needs of the age. There is an urgent need to awaken interest in the extent of the role that language and religion play in shaping public opinion and the broad influence on the creation of the national spirit in the hearts of citizens. As a result of the

impact of the values and customs coming through contemporary technology.

Keywords: political thought, Shishkov, public opinion, Formation of public opinion.

المقدمة:

سلط شيشكوف النظر على اسس معينة في فكره السياسي لتكوين وتشكيل الرأي العام الروسي في عصره انطلاقاً من الاهمية التي رأها في ذلك الوقت. استناداً للقيم الوافدة والدخيلة على المجتمع الروسي من ناحية ، التي رأى فيها بوادر هدم وتحطيم قوة الدولة الروسية التي لطالما سعت للمحافظة عليها بعدها اهم مكونات وجودها وتميزها عن غيرها من الدول الاخرى. ولمواجهة التحديات والصعوبات من ناحية اخرى، لبذل الجهد في محاربة المعتدي وشد ازر المواطنين انذاك.

خلقت اللغة اول مبادئ التعارف بين الناس وتكوين فكرهم الانساني والسياسي، ومن ثم جاء الدين ليشكل مكونات الانسان الفكرية ويؤسس لبناء الفرد بما يحمله من قيم واخلاق وعادات، التي تصب بمجملها في بلورة مدى التفاعل بين الشعوب والدول والافراد بما يحمله كل منهم تجاه الاخر وفق اللغة التي يتكلمونها والدين الذي يؤمنون به. وعلى ذلك عد شيشكوف **(اللغة والدين)** من اولويات تشكيل الرأي العام الروسي بما يحمله كل منهما في نفوس ابناء الدولة الروسية ومدى التأثير على مجرى الاحداث في حياتهم العامة والسياسية. ان التفاعل بين الشعوب والافراد ينبعث من مكوناتهم اللغوية والدينية ومدى التأثير الذي يحمله كل منهما عليهم. طلب شيشكوف من خلال فكره السياسي المحافظ ان تتدخل الدولة لتحافظ على لغتها ودينها من تأثير لغات

واديان الدول الاخرى على الشعب الروسي ، لكي يبقى شعباً نقياً قدر الامكان غير متأثر بما تفرزه حضارات الدول الاخرى من مفاهيم وافكار تنعكس على رأيه العام.

ان مجمل التأثير والتأثر بلغات واديان الاخرين ينعطف على تشكيل الهوية الوطنية للدولة وفقاً لما يستعيره قائدها ويؤسس لتبنيه ويفرضه على شكل قوانين وتشريعات قابلة للتطبيق. لكون الهوية الوطنية ابنة للغة والدين اولاً فضلاً عن المكونات الاخرى لها.

مشكلة البحث:

انطلق البحث من التسأؤل الجوهري الاتي: (هل للغة والدين في فكر شيشكوف السياسي اثراً ايجابياً ام سلبياً في تكوين الرأي العام الروسي وتشكيله، وهل يعدان احد مكونات الوعي الكامل للذات في مواجهة الثقافات والحضارات الاخرى).

فرضية البحث:

يفترض البحث الفرضية الاساسية الاتية: (ان للغة والدين في الفكر السياسي لشيشكوف اثراً ايجابياً في تكوين الرأي العام الروسي وصياغته، بعدهما ليس احد مكونات الوعي الكامل للذات في مواجهة الثقافات والحضارات الاخرى بل لهما الاهمية الاولى والاولوية على ما سواهما).

اهمية البحث:

تنطلق اهمية البحث في تشكيل الرأي العام في فكر شيشكوف السياسي من خلال تركيزه على دور الدولة في تربية الاجيال ومنهم الاطفال تحديداً على الثقافة الوطنية والدينية لبناء اساس متين ضد الافكار والثقافات الوافدة من خارج الدولة. وتتجسد الاهمية الثانية على الرغم من كون المرحلة التأريخية المبحوث فيها تعود للقرن التاسع عشر ، بمدى خطورة الافكار الدخيلة على المجتمعات والشعوب. اذ تزايد بشكل ملحوظ مقدار استيعاب هذه الثقافات من قبل الافراد ونحن في عصر انتشار

المعلومات السريع عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي. يؤدي غياب دور الدولة في ترسيخ اسس ثقافة الشعب والدولة المبحوث فيها ،ومدى تماهيها مع العادات والثقافات الدخيلة الى تناسي روح الحضارة واسس الدين والاخلاق الحاكمة في نفوس الشعوب والمجتمعات.

المناهج المستخدمة في الدراسة:

استند البحث في منهجيته وطريقة عرض المطالب للتحقق من الفرضية من عدمها على المنهج التأريخي والمنهج الوصفي والمنهج التحليلي للمضمون.

هيكلية البحث:

قسم البحث على ثلاثة مطالب وخاتمة وكما يلي:

المطلب الاول: سيرة الكسندر سيمينوفيتش شيشكوف (1754 -1841م) العلمية والسياسية

المطلب الثاني: (اللغة والدين) اول اسس تشكيل الرأي العام الروسي في فكر شيشكوف السياسي

المطلب الثالث: الهوية الوطنية واثرها على تشكيل الرأي العام الروسي في فكر شيشكوف السايسي

المطلب الاول: سيرة الكسندر سيمينوفيتش شيشكوف(1754 -1841م) العلمية والسياسية

عند التطرق الى فكرة محددة لدى شخصية فكرية سياسية معينة يستلزم البحث في سيرة هذه الشخصية العلمية والسياسية للتعرف على اهتماماته ونشاطاته في الدولة لكون الظروف المصاحبة له حاكمة ومؤثرة على تشكيل فكره السياسي في حينها.

صُنف (**شيشكوف**) من قبل المفكرين السياسيين والباحثين والمهتمين بالشأن السياسي الروسي كمفكر وكاتب روسي ورجل دولة متميز وشخصية عامة من العصر الحديث، يعد من أكثر الشخصيات نشاطا من المشاركين في العملية الثقافية والسياسية آنذاك. كسياسي ، لعب دورًا مهمًا في عهد (الإسكندر الأول)(*) و(نيكولاس الأول) ، كان أحد الشخصيات الرئيسية التي ظهرت في الربع الأول من القرن التاسع عشر في روسيا، مؤسس **التيار المحافظ الروسي** وممثل الاتجاه المحافظ في الفكر الاجتماعي والسياسي الروسي (المحافظة الوقائية)، "جناحه" الوطني الأرثوذكسي. شارك في الحرب الروسية السويدية 1788–1790م، أول مؤرخ للبحرية في الإمبراطورية الروسية (1799م) ، آخر رئيس للأكاديمية الروسية للعلوم (1813– 1841م).([1]) شغل عدة مناصب في الدول ومنها وزير الخارجية خلال الحرب الوطنية عام 1812م، وكان مضطرًا ليكون دائمًا مع الإمبراطور كسكرتير شخصي لإعداد أهم البيانات والنصوص والمراسيم وأوراق أخرى لمكتب (الإسكندر الأول) أثناء الحرب الوطنية عام 1812م .في الواقع قام بدور الداعي والإيديولوجي الرئيسي في هذه الحرب ، شغل منصب وزير التربية والتعليم (1824–1828م). واحد اشهر رواد أدب الأطفال في روسيا ، مؤسس وزعيم دائم للمجتمع الأدبي والسياسي ومن مؤلفاته "محادثة عشاق الكلمة الروسية" (1811– 1816م)، ترك (شيشكوف) عملاً أدبيًا وعلميًا ضخمًا وإرث من المذكرات ، حتى خلال حياته ، كانت مجموعة مؤلفاته تتكون من 17 مجلدًا من كتاباته .لكن هذا المفكر دخل الكتب المدرسية الحديثة عن التاريخ الروسي والأدب باعتباره "ظلاميًا" و "رجعيًا" متطرف.([2]) في السنوات الأولى من حكم (الإسكندر الأول)، أصيب (شيشكوف) بخيبة أمل من الليبراليين، واتهم الإصلاحيين الليبراليين الشباب بقلة الخبرة ونقص معرفة التقاليد والقوانين والطقوس المحلية ، مع الالتزام غير النقدي بـ "روح

الوقت "، الأفكار التي أدت إلى الثورة الفرنسية الوحشية من وجهة نظره. انعكست وجهات نظره في تلك الفترة في "الخطاب حول المقطع القديم والجديد لنمو اللغة (1803م)، حيث تحدث (شيشكوف) ضد Gallomania التي تعني التوجه الكامل او الجزئي للمجتمع النبيل نحو النماذج الثقافية والسلوكية الفرنسية: كاللغة ، والأزياء ، والأيديولوجيا ، بمعنى التحيز الشديد للثقافة الفرنسية. وهو في رأيه خطيرًا للغاية بالنسبة لمستقبل الدولة الروسية وشعبها. هذه الممارسات اظهرت نوع من اخلاق العبودية ، التي في نتائجها أسوأ من العبودية الجسدية وأسباب موقف (شيشكوف) السلبي المتطرف تجاه الأدب الفرنسي من وجهة نظره معبراً عن ذلك بوصفه للامة التي دمرت مبدأ الملكية والدين اللذين أسسا لارهاب اليعاقبة لا يمكن أن يمنح العالم شيئًا من الأفكار البناءة.([3]) تشير افكار الثورة الفرنسية وحضارة الفرنسيين التي استحضرت الى روسيا زمن حروب نابليون الى عوامل تدمير الهوية الوطنية للروس ، وموت القيم التقليدية ، مما جعله يطور اطروحته حول فساد الاخلاق بناءً على ذلك.([4]) إن حركة التاريخ إلى الأمام غير موجودة لدى (شيشكوف). لطالما كانت الفكرة المنيرة للتقدم غريبة جدًا عنه. لذلك ، فإن الثورة الفرنسية بالنسبة له هي فقط نتيجة الضرر الذي يلحق بالأخلاق بسبب الأفكار والكتب الضارة ، وهو نوع من التعرج الخبيث للتاريخ. وبالتالي ، من حيث المبدأ ، من الممكن القضاء على هذا الانتهاك والعودة إلى السلام المثالي الأصلي في أسرع وقت ممكن. للقيام بذلك ، تحتاج إلى إعادة التاريخ إلى الوراء قليلاً ، واستعادة الشعوب الأوروبية "كرامتها السابقة وهدوءها وحريتها ... إحضار كل الممالك إلى حالتها السابقة". العلاج الوحيد لهذا هو طرد "الزعيم" غير الشرعي – نابليون. هذه هي الطريقة التي تتحقق بها المدينة الفاضلة العظيمة ، التي طالما حلم بها (شيشكوف).([5])

عبر (شيشكوف) عن وجهات نظره تجاه القيم الوافدة والدخيلة على المجتمع الروسي من قبل الحضارة الاوربية ولا سيما الفرنسية، بأنها عنصر مدمر للوحدة الوطنية والهوية القومية الروسية وعامل تهديم لمكتسبات الدولة التي ناضلت على امتداد نموها التاريخي للحصول عليها. واصراره على وجوب محاربتها والتوجه نحو الداخل الوطني بالابتعاد عن التطور الذي يأخذ شكل التقليد والاقتداء بالاخر.

المطلب الثاني: (اللغة والدين) اول اسس تشكيل الرأي العام الروسي في فكر شيشكوف السياسي

انطلق شيشكوف من اللغة والدين المسيحي الارثذوكسي لبناء المواطن الروسي وتشكيل رأيه في كافة المجالات (الاجتماعية –الثقافية– السياسية) محارباً بذلك بذور الافكار الغربية الوافدة الى الدولة الروسية ومنها الفرنسية تحديداً بناء على مخرجات الثورة الفرنسية ومنتاجاتها الفكرية القائمة على اسس الفردية والمساواة والحرية وعلمنة الحياة السياسية (فصل الدين عن الدولة).

اولاً: اللغة :

عدّ (شيشكوف) اللغة احد اهم المرتكزات الفكرية لبناء الدولة في فكره المحافظ الوقائي وتكوين الرأي العام فمن خلالها تؤسس الدولة لتربية الاجيال الناشئة والشابة بضمنهم الاطفال ; واللغة المقصودة لديه هي السلافية تحديداً للكنيسة، وتنمية الجانب الروحي في نفوس المواطنين. فالأرثوذكسية واللغة السلافية للكنيسة احتلت المكانة المركزية كأهم عوامل الحفاظ على الهوية الوطنية في سياق أزمة النظرة العالمية . فاللغة بالنسبة لـ (شيشكوف) هي جزء لا يتجزأ من نظريته التي تهدف إلى توحيد المجتمع الروسي واعتبر تغيير لغة الكنيسة السلافية والكتب المقدسة تدنيس

للمقدسات.([6]) ويرجع الاهتمام بالقضايا اللغوية في تلك المرحلة من التاريخ الروسي وتحديداً في بداية القرن التاسع عشر، لإشغالها حيزاً من تفكير ليس فقط ، العقول المتعلمة لعلماء اللغة واللغويين ، بل شغلت أيضًا تفكير أولئك الذين ارتبطوا بطريقة أو بأخرى بتطوير مسار الدولة لتطوير البلاد. ماذا يجب أن تكون اللغة الأدبية؟ ماذا يجب أن يكون أساسها؟ كيف تتفاعل مع الاقتراض الخارجي؟ ، كانت هذه القضايا وما شابهها موضع نقاش في الصالونات العلمانية والاجتماعات الرسمية والتجمعات الودية وبالطبع الأوساط الأدبية. هذه الشعبية التي حظيت بالموضوع اللغوي في أوساط الجمهور العام، والاهتمام الذي تعاملت به الدولة معه نتجت عن مشكلة الهوية الوطنية ، التي تحققت في ظروف ثنائية اللغة الفرنسية والروسية. ان التحديث ، الذي بدأه (بيتر الأول) واستعاره أساسًا من تجربة الغرب ، في بداية القرن التاسع عشر. أدى إلى حقيقة أن الثقافة الأجنبية ، ولا سيما للطبقة الأرستقراطية الحضرية للنبلاء ، كان يُنظر إليها على أنها ثقافتهم ، بينما كان يُنظر إلى الثقافة الروسية على أنها جهل وبربرية.([7]) ان الهدف من التربية على هذه المبادئ هو خلق علاقة عاطفية بين الفرد الروسي وخالقه تجعله متفائل بالله لا يبال بالموت جرئ تُنمى بداخله قيم الولاء والشجاعة لمواجهة الحروب التي تخوضها الدولة وهو ما بينته نتائج حرب عام 1812م فالشعب الروسي وفقاً لذلك لا يقهر ، واللغة هي الجسر لتأسيس الوجود القومي الروسي لمواجهة النفوذ الثقافي الفرنسي.([8])

نلاحظ مدى الاهمية التي اعطيت للغة الوطنية في الدولة الروسية في فكر (شيشكوف) ولا سيما عند الاطفال والناشئة الذين يتم تربيتهم اولاً عن طريق الجانب الروحي (الدين–الكنسية وشعائرها)، ومن ثم عن طريق الجانب التربوي المدارس، وان لكلاهما التأثير البارز والكبير في تشكيل نفوس مواطني الدولة.

ثانياً: الارتباط بين اللغة والدين المسيحي الارثذوكسي:

ربط شيشكوف ما بين اللغة والدين المسيحي الارثذوكسي في تشكيل الرأي العام الروسي. حيث أطلق (شيشكوف) على **العقيدة الأرثوذكسية والتربية الصحيحة واللغة الروسية** مصادر حب الوطن.([9]) يعتقد (شيشكوف) ان اللغة الروسية وريثة اللغة اليونانية والمجتمع اليوناني البيزنطي الكلاسيكي بأكمله ، فاللغة السلافية القديمة ، والدة العديد من اللهجات ، اللغة الروسية هي الأصل والبداية ، التي كانت دائمًا وفيرة وغنية ، وعلى ذلك رأى المفكر في الكنيسة السلافية أكبر مزار وقبو دماء الروح القومية الروسية "المرتبط صوفيًا بالروح الإلهية الحكمة". ([10]) تدعم هذه الفكرة ، الفكرة التي تقول بأن روسيا هي روما الثالثة ووريثتها فبعد ان افل نجم روما الثانية المتجسدة في بيزنطة لقت روسيا نفسها وكأنها مختارة لتؤدي دور روما الثالثة وتوجهت الانظار المسيحية الى القيصر الروسي وكأنه "الخليفة الطبيعي للإمبراطور البيزنطي" ، وعلى هذه الدالة سعت الكنيسة الروسية لان تجعل من القيصر حامياً للأرثدوكس في روسيا والعالم. ([11]) ونستطيع ان نلاحظ اثار هذه الافكار في النتائج المترتبة على حرب القرم في القرن التاسع عشر.

ومفهوم اللغة عند (شيشكوف) له معاني عدة: هي جهاز الفكر ، هي العامل النشط للتاريخ ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالعمليات الثقافية ، تحتل فلسفة اللغة مكانة خاصة ، "اللغة هي اعتراف الشعب ; تاريخ روسيا واللغة الروسية لا ينفصلان ، اللغة هي البداية النشطة للتاريخ، اللغة ليست فقط كرامة الشعب ليس فقط اساسه وسببه، اللغة روح الناس ، مرآة الأخلاق ، مؤشر حقيقي للتنوير ، كذاكرة جماعية للشعب.([12]). الشعب الروسي هو حامل الثقافة الجوهرية والمميزة ، واساسها تراث الروم الأرثوذكس (البيزنطي).([13]) ومن اجل وضع فكرته عن اللغة موضع التنفيذ وعدم ذهابها ادراج

الرياح ولكونه وزير للتعليم تقدم بمقترح (للإسكندر الاول) مفاده تطوير ميثاق رقابة جديد بدلاً من الميثاق الليبرالي لعام 1804م ، ومن مهام ميثاق الرقابة المقترح كبح الافكار المتعمدة التي لا اساس لها ، وتشترط الرقابة ان تكون المصنفات المنشورة مدرجة ضمن قواعد الاخلاق وقواعد التنوير الحقيقي ولا تلحق اي ضرر بالأخلاق والعلوم واللغة . تم انشاء هذا الميثاق في عام 1826 م ولقب " بالحديد الزهر" من قبل الدعاة الليبراليين ، وعهد اليه بثلاث مهمات اساسية: العلوم والتعليم وتوجيه الجمهور والرأي العام بما يتوافق مع السياسة وانواع الحكومة. ومن بين الامور التي اعتبرت ضارة في مجال الفلسفة احد مجالات العلوم التأملية هو تحريم الحالة البدائية الوحشية للإنسان ، وحظرت الإمبراطورية الروسية أعمال مفكرين مشهورين مثل (هيلفيتيوس ، هولباخ ، ديدرو ولاميتري وروسو)، والاشادة بأولوية اللغة الروسية والقومية الروسية والحقوق ومبادئ الطبقة والتعليم الروسي والسلافية الكلاسيكية.([14]) كانت مهمته الرئيسة للشعب التعليم والتربية وزرع الحماس في نفوس الاطفال " الفخر الوطني" و " حب الوطن" وموقفه الايديولوجي المحافظ لا يفسر وهو على رأس وزارة التعليم على أنها مظهر من مظاهر الجهل والمصالح الطبقية الأنانية ، ولكن كمحاولة لتشكيل نوع جديد من المجتمع على أساس المبادئ الروسية التقليدية للأرثوذكسية ، (الاستبداد والطبقة) تأييداً للأوتوقراطية المحافظة ومعارضة ثورات أوروبا الغربية ذات المذاهب الفردية والإلحادية.([15]) بين (شيشكوف) الى انه لا يوجد أدب روسي عالي الجودة ، المؤلفون ببساطة لا يعرفون كيف يفكرون باللغة الروسية ، وليسوا على دراية بحكمة الناس ومحكوم عليهم أن يكونوا مقلدين فقط. على الرغم من أن هذه التوجيهات تلقت تصميمها التنظيمي في شكل دوائر صغيرة بعد ذلك بقليل ، ففي عام 1811م تم عقد الاجتماع الأول "لمحادثات عشاق الكلمة الروسية" ، وفي عام 1815م – "مجتمع

أرزاماس للأشخاص المجهولين" ، تم بالفعل الإشارة إلى وجود موقعين مختلفين تمامًا في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر. بينما كان الخلاف ظاهريًا حول اللغة الأدبية ، الا ان النقاش في الواقع كان حول **اختيار الهوية الحضارية – السلافية أو "الوسيطة"** – التي يجب أن تُبنى على أساسها الهوية الوطنية. تفاقم تعقيد المهمة التي فرضتها كلتا المجموعتين من المثقفين الأدبيين بسبب فرض الانقسام الحضاري على الانقسام الطبقي ، والذي أدى إلى أن النبلاء ، في الواقع ، شكلوا أمة منفصلة ، أقرب بكثير إلى أي من الدول الأوروبية (بما في ذلك) في مسألة استيعاب المكون السياسي والقانوني للقومية، أكثر من غالبية سكان روسيا.([16])

وفقاً لذلك فاللغة امر مهم جداً لكونها اساس تشكيل هياكل الدولة وتنمية الروح الوطنية في ضمير المواطنين ووجدانهم للتصدي لكل ما هو ضار وغير نافع على مستويات الدولة كافة ، بين (شيشكوف) الارتباط المؤثر مابين اللغة والعقيدة الدينية للشعب الروسي المتجسدة باللغة السلافية فعلى اللغة والدين تبنى التربية والتعليم الوطني.

تتشكل قوة الرأي العام في الدولة الروسية من خلال الادراك والوعي بالمهمات التي يجب ان يتولاها كل من ابنائها. فعند غرس روح اللغة الوطنية بتركيبتها الروحية النابعة من الارثذوكسية والسلافية يبنى الوعي الانساني الروسي الوطني، ليكون مستعداً لمواجهة الازمات التي تتلقاها الدولة الروسية عبر نموها في فترات التاريخ.

يبين لنا طرح (شيشكوف) بأهتمامه باللغة والدين المساحة الواسعة التي شغلت كلاهما حيزاً كبيراً من اهتمامه وتفكيره لتكوين ليس فقط الرأي العام الروسي بل وايضاً

الهوية الوطنية ومكونات القومية الروسية. واضع اسس تثبيت ذلك من خلال القوانين والانظمة التي على القائد اياً كان منصبه، والدولة فرضها على الشعب.

المطلب الثالث: الهوية الوطنية واثرها على تشكيل الرأي العام الروسي في فكر شيشكوف السايسي

مزج (شيشكوف) بين اللغة والدين لولادة الهوية الوطنية الروسية منهما، فالاخيرة ابنتهما الحتمية.لان الهوية الوطنية لا تولد من الفراغ وانما من لغة الشعب ودينه ومدى تمسكه بالعادات والتقاليد والاعراف المتشكلة على امتداد الدولة في التاريخ. وعلى ذلك يعد تاريخ الدولة السياسي والاجتماعي باعث لولادة الهوية الوطنية ولكل مرحلة من مراحل نموها القومي.

كانت مشكلة فقدان الهوية الوطنية واضحة بشكل خاص على خلفية العمليات التاريخية الكلية التي تحدث في أوروبا ، حيث بدأت الدول القومية المتجانسة عرقياً مع المساواة السياسية بين المواطنين في الظهور تدريجياً ، بدءً من فرنسا، ظهرت مزايا النوع الجديد من الدولة على الفور في الاقتصاد والسياسة الخارجية. في مثل هذه الظروف ، كانت الإمبراطورية الروسية ضعيفة: لم تكن هناك حاجة للحديث عن وجود مجتمع مدني في بلد به سكان متعدد القوميات ونظام طبقي صارم إلى حد ما. لذلك ، تحاول الدولة والجمهور فهم هذا الوضع الثقافي وإيجاد استجابة مناسبة للتحدي الذي فرضته أوروبا.([17]) اتخذ (شيشكوف) موقف المدافعين عن الهوية الوطنية على أساس النصوص المقدسة ولغة الكنيسة السلافية. كان الأخير بالنسبة لـ (شيشكوف) وأتباعه نموذجًا مثاليًا لكتاب ذلك الوقت ليسترشدو به ، فضلاً عن مصدر للغة ("السلافية") الحديثة. بالإضافة إلى النصوص المقدسة المكتوبة بلغة الكنيسة السلافية. يشير

(شيشكوف) إلى أسس أخرى للأدب الروسي: الأساطير التاريخية والفولكلور. سمح هذا التوليف للمبادئ اللغوية المختلفة للعجائب بالعودة إلى التكامل الثقافي للمجتمع التقليدي ، على أساس اللغة الأدبية الجديدة ، كان يجب أن يحدث التقارب بين الناس والنبلاء ، المعزولين عن بعضهم البعض.

خلال إصلاحات (بيتر الأول) أصبحت أسطورة الوحدة هذه مطلوبة أثناء الحرب مع نابليون ، وعندما تم تعيين (شيشكوف) وزيرا للخارجية بدلا من (سبيرانسكي) في عام 1812م. كتب جميع البيانات الموجهة للجمهور أثناء الحرب ، واستُقبلت اللغة التي كُتبت بها ، وفقًا للمؤلف نفسه بالبهجة. وهكذا ، فإن اللغة هي التي يحدث فيها **الوعي الكامل للذات** من قبل شخص ما على خلفية تأثير أجنبي ، ونموذج التفاعل الذي يتم نقله لاحقًا إلى الثقافة بأكملها.([18]) حيث كتب أكثر من 80 بيانًا وأمرًا في الأعوام 1812–1814م. كانت لغة هذه البيانات مقنعة للغاية ومثيرة للإعجاب لدرجة أنه تم إعادة إنتاجها باستمرار طوال القرن المتبقي من الاستبداد الروسي.([19])

يدلل ما يوضحه لنا شيشكوف في فكرته عن اللغة التي ربط بها حدوث التأثير في نفوس الافراد في الدولة الروسية عبر الازمات والحروب التي واجهتها انذاك بعدها معياراً لاستلهام وبزوغ التحدي لكل المخاطر التي تواجهها. فارتباط اللغة بالروح الوطنية وحث المشاعر الانسانية على الولادة لتكوين رأياً عاماً يتقبل التصدي للحرب والصعوبات.

وموقفه من الحرية التي هي في نظره من حيث المبدأ ، بالطبع ، أفضل من العبودية ولكن المشكلة أن الناس لا يحتاجون إلى الحرية ، لا يعرفون كيفية استخدامها مستشهداً بتجربة الثورة الفرنسية وشعارات الحرية والمساواة والأخوة التي تحولت الى

رعب وارهاب. كما وانه لايؤمن بالحركة التقدمية للتاريخ وهي فكرة لطالما كانت غريبة جدًا عنه، ويفترض بدلاً عنها فكرة ركود الدولة والتمسك بالماضي وتراثه المجيد .([20])

فالموقف من الحرية في فكره السايسي انما يعطى مدى لتشكيل تفكير الناس ورأيهم بثقافة الاخر التي بينها للشعب بأنها ضارة غير نافعة لا يجب الاقتداء بها.

يعتبر (شيشكوف) بمثابة العدو الحاسم لكل التحولات الليبرالية داخل روسيا ، وكان مؤيدًا نشطًا للحفاظ على القنانة الكاملة ، باستخدام قدراته كرجل دولة ، وقارن بين كلمة عبد باللغة الفرنسية esclavage التي ترجمها وتعني الخارج عن القانون ، بينما تأتي الكلمة في اللغة الروسية من كلمة العمل ، أي أنا أخدم شخصًا بالواجب والاجتهاد. وعلى ذلك اشار (شيشكوف) الى ان العبودية الروسية ليست مذلة أو مخزية على الإطلاق.([21]) ترافقت هذه الآراء مع سياسات الكسندر الاول بالمسألة الفلاحية وسياساته الاصلاحية تجاه الاقنان لمواجهة النبلاء في نزاعه السياسي معهم.([22])

إن البرنامج المحافظ الذي تمت صياغته من قبل (شيشكوف) وزيراً للتربية والتعليم أعلن عن الحاجة إلى التربية الوطنية في روح الأرثوذكسية والولاء للأوتوقراطية والمبادئ الطبقية ، ورفض جميع إصلاحات (الكسندر الأول) ، والاصرار على العودة إلى الماضي الطوباوي ، وبالتالي الحفاظ على مجموعة الاصول بدءً باللغة إلى الاستبداد والقنانة ،التقاليد والوطنية بما في ذلك الزراعة ، وتنمية المشاعر الوطنية والإخلاص للملكية الأوتوقراطية. ([23])

تبلورت افكار (شيشكوف) ذات الطابع المحافظ الموصوف بالوقائي في مسألة بناء الدولة وتشكيل الرأي العام الروسي اولاً، للوقاية من الفكر الغربي الوافد الى روسيا والذي يعد بنظره مدمر للغة الروسية والتقاليد الشعبية والوطنية ، نتيجة تبني مجموعة

كبيرة من فئات المجتمع الروسي لها ولاسيما النبلاء منهم وانحلال الجانب الروحي الذي لابد من المحافظة عليه في نفوس الروس لمواجهة التحديات والازمات التي عاصرتها الدولة الروسية آنذاك. وضرورة الحفاظ في نظره على طريقة الحكم الاستبدادي الاوتوقراطي لضمان سلامة الوطن وابنائه وان الحرية لا يحتاجها المواطنون لعدم قدرتهم على فهمها. ترافقت هذه الافكار مع الاحداث التي مرت بها روسيا كالحرب الوطنية ضد فرنسا ونابليون وبغية تطوير مشاعر الولاء والمسؤولية في نفوس المواطنين الروس لمواجهة الاعداء وتحقيق الانتصار، ونستطيع ان نشير الى انها افكار ازمة حاملة اسس التطرف ، لا يمكن ان يقدر لها الاستمرار طويلاً ، وتحديداً عند تحقيق الاستقرار اذ لابد من العمل على تخفيف غلوائها .

انعش المفكرون والباحثين الروس المعاصرين افكار (شيشكوف) باستخدام ارثه الإبداعي في الأنشطة التربوية الحديثة لمؤسسات الاتحاد الروسي وجمهورية القرم من حيث تعليم الأسس الأخلاقية للشخصية وتنشئة حب الوطن والسعي إلى المعرفة . تم تحديد أولويات السياسة الوطنية في مجال التعليم ، أهمها تشكيل القيم الوطنية والإنسانية العالمية ، وضمان الاحتياجات التعليمية للشعوب التي تسكن شبه الجزيرة لتحافظ على ثقافتها وتاريخها وتقاليدها لتعليم وتدريب جيل الشباب .([24])

وكان ذلك بمثابة رد فعل للتغييرات التي طرأت على هيكلية التعليم في المجتمع الروسي في مرحلة التسعينات وأوائل القرن الحادي والعشرين التي اقتبست التعليم الاوربي وكانت سبباً في التدهور الروحي التدريجي للمجتمع الروسي واخلاقه ، وان احد الاهداف الاستراتيجية هو مزيج من التعليم التربوي الكلاسيكي الروسي والابداعي بضمنها الأرثدوكسية. ان معرفة وإدراك شخصية تاريخ الوطن ومكانته ودوره في القدر هو جوهر حياة روسيا ودولتها الحقيقية. تأكيد قيم الإبداع والمسؤولية ، والواجب والولاء

والشرف والقيم الصحية الأخرى في كل من الشخصية والعائلة والعشيرة والجماعة ; كل هذه الاولويات تشكل الطريق إلى الدولة الحيوية في روسيا .([25])

الخاتمة:

عد (شيشكوف) اللغة والدين من اول واهم المؤثرات على بناء وتشكيل الرأي العام في الدولة الروسية، وذلك لعدة اسباب ندرج منها مايأتي:

1- ان اللغة والدين من اول مدخلات التربية لدى الانسان بدءً من طفولته ولغاية بلوغه ونشأته.

2- التأثير الواسع لكلاهما على تشكيل قناعات الانسان وادراكه لتحديد الاولويات ومسارات الاختيار فيما بعد

3- اعطاء اللغة والدين في الدولة التي يولد وينشأ فيها الانسان اهمية لاحدود لها على بقية اللغات والاديان.

4- نمو الروح الوطنية من تأثير الكلمة ومدى الشعور بها عبر الخطب والاوامر لقادة الدولة والمؤثرين فيها على الشعوب.

5- محاربة الافكار والقيم والاخلاق الوافدة التي تفسد الرأي العام الروسي كالثقافة والحضارة الاوربية ولا سيما الفرنسية منها.

6- ان تبني (شيشكوف) للفكر المحافظ كان داعماً ومحفزاً كبيراً للتوجه نحو محاولات بناء الرأي العام وتشكيله وفق الظروف التي مرت بها الدولة الروسية في القرن التاسع عشر عن طريق العودة الى اول المؤثرات على الانسان.

نرى بأن تنشيط هذه الافكار جاء كاستجابة لاختلال القيم ولمواجهة التربية والثقافة الوافدين الى روسيا بعد مرحلة تسعينيات القرن العشرين ، ولمعالجة الاختلالات الناجمة عنه. وتأكيدهم على تربية الاطفال والناشئة والشباب على القيم الوطنية الروسية وتعزيز

المنطلق الديني لديهم وفق الكنيسة الأرثدوكسية ، وهو ما يمنحنا معطى عن الدولة الروسية بكونها دولة ازمات ومواجهة تحديات ، لا تنكسر لفشلها ولا تستسلم لهزيمتها، بدأً بمفكريها مروراً بمواطنيها وانتهاءً بقادتها. وفي ما يتعلق بوصف (شيشكوف) بالتطرف في افكاره من قبل بعض الفئات الروسية كما تمت الاشارة اليه مسبقاً فأن الامر محل نظر تبعاً للظروف التي يعيشها المفكر والذي يتقد في وجدانه نور الضمير، الذي يرى بأن اللجوء الى مجموعة من الافكار والتدابير تكون سلاحاً وحلاً للعديد من الازمات والانزلاقات في الدولة وتبعاً للأيديولوجيا التي يؤمن بها ويراها ضرورية ومناسبة في تلك الظروف.

فضلاً عن ذلك تشابهت المرحلة التاريخية لبداية القرن التاسع عشر مع مرحلة الانتقال الديمقراطي في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين لبناء الدولة الروسية وتطورها، ومحاولات مفكريها وعلمائها السياسيين بالبحث عن الهوية الوطنية وأثبات اختلاف تكوينها عن بقية دول العالم ولاسيما أوربا منها.

ان التاكيد على قوة اللغة والدين بتشكيل الرأي العام وتوجيه مسار الاخلاق لدى ابناء الدولة الواحدة لامر ضروري ومن احتياجات العصر الملحة. نظراً للازمات والتحديات التي مرت وتمر بها الدول على طول مسيرتها في التاريخ. فالحاجة ملحة لايقاظ الاهتمام بمدى الدور الذي تلعبه اللغة والدين على تشكيل الرأي العام والتأثير الواسع على خلق الروح الوطنية في نفوس الابناء. وهو ما تحتاجه الانسانية في الوقت الحاضر نتيجة للحضارة العلمانية التي لطالما سعت وتسعى لفصل معايير الاخلاق والقيم عن وجود الناس في المجتمعات ، والتركيز على الاشياء والمعايير المادية التي تجلب البهجة والسرور الزائفين بعيداً عن مثل الدين والاخلاق. وهو ما تواجهه الدول

والشعوب الان بألاتجاه نحو تبني العنف والحرب بين الدول ولاسباب ليست بذات قيمة او تحديد لمصير الانسانية الا بالتوجه نحو الهلاك والدمار.

وفقاً لما ورد اعلاه ولبيان مدى اثبات صحة الفرضية من عدمه نشير الى ما يأتي:

- ان للغة والدين اثراً ايجابياً في الفكر السياسي عند شيشكوف في تكوين الرأي العام في الدولة الروسية وتوجيه الوعي الذاتي ، خدمةً لمصالح الدولة العليا المنعكسة على مصلحة الشعب الروسي ، وبعث الروح الوطنية لدى الاخير وتحفيزه على تقبل مواجهة الاعداء ، ومحاربة الاخر بكونها تحديات تواجه الدولة وعلى الجميع الاستعداد لتحمل نتائجها ، بالمسؤولية المشتركة بين القادة والشعب. وعلى ذلك تم اثبات صحة الفرضية من خلال الاثر الايجابي للغة والدين في تكوين الرأي العام الروسي بأتجاه مصلحة الدولة الروسية التي هي مصلحة الشعب، وعدم التماهي مع الحضارات والثقافات الوافدة والدخيلة على روح وتاريخ الشعب الروسي.

الهوامش :

* الاسكندر الاول: سعى الى تحقيق وحدة اوربية اممية يكون هو على رأسها ويجسد عقلها. لم تتحقق احلامه بأنشاء سلام دولي مستقر بسبب تمزق النظام الدولي وتبعثره

ولم ينجح باستكمال اصلاحاته في روسيا وانتقدت بعض اجراءاته بعنف وعدت رجعية كما ان حركة المعارضة تزايدت له في كل من روسيا وبولندا. ينظر: جورج فرنادسكي، تاريخ روسيا، ترجمة : عبد الله سالم الزليتني، (ليبيا، المكتب الوطني للبحث والتطوير، 2007) ، ص ص 197-205.

[1]Гаврилов, Игорь Борисович. "К характеристике философии образования АС Шишкова." *Христианское чтение* 3 (2019).с.183. И Минаков, А. Ю. "АС Шишков как идеолог и практик русского консерватизма." *Via in tempore. История. Политология* 10.7 (62) (2009).с.143 И с.149.

[2] там же. та же страница.

[3] Там же. С.143-145.

[4]Полежаева, Татьяна Владимировна. "«Сей старец дорог нам...»: к вопросу о политическом поведении АС Шишкова." *Вестник Томского государственного университета. История* 3 (29) (2014).с.118.

[5]Альтшуллер Марк. "Шишков и Карамзин в споре о судьбах России" Литературоведческий журнал, no. 28, (2011).с.54.

[6]Полежаева, Татьяна Владимировна. "«Ходил я в католицкую здешнюю церковь слушать музыки и пения»: к вопросу о характере религиозности АС

Шишкова." *Вестник Томского государственного университета. История* 1 (21) (2013).с.63-64.

[7] Полежаева Татьяна Владимировна. "Язык как фактор национального единства (на материале полемики архаистов и карамзинистов начала первой четверти XIX В.)" Вестник Томского государственного университета, no. 376, (2013).с.96.

[8] Кожурин, Антон Яковлевич. "У истоков русского консерватизма (АС Шишков, ФВ Ростопчин и НМ Карамзин)." *Вестник Русской христианской гуманитарной академии* 16.4 (2015).с137-139.

[9] Кожурин Антон Яковлевич. "У истоков русского консерватизма (А. С. Шишков, Ф. В. Ростопчин и Н. М. Карамзин)" Вестник Русской христианской гуманитарной академии, vol. 16, no. 4, (2015).с.140.

[10]Гаврилов, Игорь Борисович. "К характеристике философии образования АС Шишкова." *Христианское чтение* 3 (2019).с.187.

[11] سهيل فرح، الحضارة اسئلة الهوية والاخر العربي، (سورية-دمشق، دار علاء الدين،2010)،ص20.

[12]Лебедева, Г. Н. "У истоков философии языка в России: АС Шишков." *Вестник Ленинградского государственного университета им. АС Пушкина* 3-2 (2018).с.24-26.

[13]Марк, Альтшуллер. "Шишков и Карамзин в споре о судьбах России." *Литературоведческий журнал* 28 (2011).с.46.

[14]Гаврилов, Игорь Борисович. "К характеристике философии образования АС Шишкова." Там же.с.с.195–197.

[15] Там же.с.181–182

[16] Панченко Алексей Борисович. "Концепт «Народ» в манифестах А. С. Шишкова в контексте дискурса об Отечественной войне 1812 года" Слово.ру: Балтийский акцент, vol. 11, no. 3, (2020).с.29.

[17] Полежаева Татьяна Владимировна. "Язык как фактор национального единства (на материале полемики архаистов и карамзинистов начала первой четверти XIX В.)". Там же.с.96.

[18] Полежаева Татьяна Владимировна. "Язык как фактор национального единства (на материале полемики архаистов и карамзинистов начала первой четверти XIX В.)". Там же.с.99.

[19] Кожурин Антон Яковлевич. "У истоков русского консерватизма (А. С. Шишков, Ф. В. Ростопчин и Н. М. Карамзин)" Там же.с.с.140.

[20] Марк, Альтшуллер. "Шишков и Карамзин в споре о судьбах России" . Там же.с.54–55.

[21]Долгих, Аркадий Наумович. "О социально-политических взглядах АС Шишкова (крестьянский вопрос)." *История: факты и символы* 2 (2015).с.63-66.

[22] جورد فرنادسكي، تاريخ روسيا، مصدر سبق ذكره، ص199.

[23]Минаков, А. Ю. "АС Шишков как идеолог и практик русского консерватизма.Там же.с.146-150. И Гребенщиков, Александр Евгеньевич. "Взгляды адмирала АС Шишкова на сословный вопрос в России." *Вестник Тамбовского университета. Серия: Гуманитарные науки* 12 (152) (2015).с.111-114.

[24] Фалка, Фёдор Петрович. "Актуальность изучения просветительских и педагогических взглядов и деятельности Адмирала АС Шишкова (1754-1841)." *Крымский научный вестник* 5-2 (2015).с. 96-97.

[25]Фалка, Ф. П. "Адмирал АС Шишков (1754-1841) об основах формирования ответственной и созидательной личности в России." *Таврический научный обозреватель* 2-2 (2015).с.107-110.

قائمة المصادر باللغة العربية:

1- جورج فرنادسكي، تاريخ روسيا، ترجمة : عبد الله سالم الزليتني، (ليبيا، المكتب الوطني للبحث والتطوير، 2007).

2- سهيل فرح، الحضارة اسئلة الهوية والاخر العربي، (سورية-دمشق، دار علاء الدين،2010).

قائمة المصادر باللغة الروسية:

1- Альтшуллер Марк. "Шишков и Карамзин в споре о судьбах России" Литературоведческий журнал, no. 28, (2011).

2- Гаврилов, Игорь Борисович. "К характеристике философии образования АС Шишкова." *Христианское чтение* 3 (2019).

3- Гаврилов, Игорь Борисович. "К характеристике философии образования АС Шишкова." *Христианское чтение* 3 (2019).

4- Долгих, Аркадий Наумович. "О социально-политических взглядах АС Шишкова (крестьянский вопрос)." *История: факты и символы* 2 (2015).

5- Кожурин Антон Яковлевич. "У истоков русского консерватизма (А. С. Шишков, Ф. В. Ростопчин и Н. М. Карамзин)" Вестник Русской христианской гуманитарной академии, vol. 16, no. 4, (2015).

6- Кожурин, Антон Яковлевич. "У истоков русского консерватизма (АС Шишков, ФВ Ростопчин и НМ Карамзин)." *Вестник Русской христианской гуманитарной академии* 16.4 (2015).

7- Лебедева, Г. Н. "У истоков философии языка в России: АС Шишков." *Вестник Ленинградского государственного университета им. АС Пушкина* 3-2 (2018).

8- Марк, Альтшуллер. "Шишков и Карамзин в споре о судьбах России." *Литературоведческий журнал* 28 (2011).

9- Минаков, А. Ю. "АС Шишков как идеолог и практик русского консерватизма." *Via in tempore. История. Политология* 10.7 (62) (2009).

10-Панченко Алексей Борисович. "Концепт «Народ» в манифестах А. С. Шишкова в контексте дискурса об Отечественной войне 1812 года" Слово.ру: Балтийский акцент, vol. 11, no. 3, (2020).

11- Полежаева Татьяна Владимировна. "Язык как фактор национального единства (на материале полемики архаистов и карамзинистов начала первой четверти XIX В.)" Вестник Томского государственного университета, no. 376, (2013).

12- Полежаева, Татьяна Владимировна. "«Сей старец дорог нам...»: к вопросу о политическом поведении АС Шишкова." *Вестник Томского государственного университета. История* 3 (29) (2014).

13- Полежаева, Татьяна Владимировна. "«Ходил я в католицкую здешнюю церковь слушать музыки и пения»: к вопросу о характере религиозности АС Шишкова." *Вестник Томского государственного университета. История* 1 (21) (2013).

14-Фалка, Ф. П. "Адмирал АС Шишков (1754-1841) об основах формирования ответственной и созидательной личности в России." *Таврический научный обозреватель* 2-2 (2015).

15- Фалка, Фёдор Петрович. "Актуальность изучения просветительских и педагогических взглядов и деятельности Адмирала АС Шишкова (1754-1841)." *Крымский научный вестник* 5-2 (2015).